

فلسفتي النفس والتطبيب بين التنقيب والتنقيح من منظور فكر ابن سينا

Philosophies of the soul and medicine Between Exploration and Refinement from the perspective of Ibn Sinna's thoughtغربي سومية¹،¹ المدرسة العليا ببشار (الجزائر)، gherbi.soumia@ensbechar.dz

تاريخ الاستلام: 2025/ 12/30 تاريخ القبول: 2026/05/18 تاريخ النشر: 2026/06/01

ملخص:

قدم الفيلسوف العربي الإسلامي ابن سينا ، كما ضخما من التصورات العلمية والفلسفية وخلف بإنتاجه الفكري المتنوع آثارا في تاريخ الفكر الإنساني ، ولعل أهم ما أنتجه ابن سينا مؤلفه " القانون في الطب " و " الشفاء " الذي شغل العديد من المفكرين والفلاسفة وممن كان لهم إهتمام بالجانب الطبي ، ومتعلمي الطب أنفسهم سواء في الفكر العربي او الغربي ، وعملوا على إحياء آثاره ، وما أحرزه من تقدم ومساهماته الفعالة في الطب الحديث ومازالت تعاليمه في ضوء الحقل الفلسفي والعلمي المعاصر، والطب بوصفه علما يشير إليه ابن سينا ويقسمه إلى نظر وعمل ، واهتم بعلاج بدن الإنسان إذ يرى أن سبب العلل والأسقام ترجع معظمها إلى حالات نفسية كمثل الحزن والغضب وغيرها من الأحاسيس الأخرى فقد تساهم في ظهور اعراض الأمراض ، وأن الحالات الإيجابية من فرح وسعادة تساهم في الحد من إنتشار الأمراض وقد تكون فعالة في علاج الأدوية ومفتاحا للدراسات الطبية التي مازالت قيد التنقيب.

كلمات مفتاحية: الطب الحديث ، النفس ، نظرية الأخلاط. ، النظري ، العملي.

Abstract:

The Arab-Islamic philosopher Ibn Sina contributed significantly to scientific and philosophical concepts a profound impact on the history of human thought through his diverse intellectual output. Perhaps the most important works he produced are 'The Canon of Medicine' , 'The Book of Healing,' which engaged many thinkers, particularly those interested in medicine, as well as medical students themselves, both in the Arab and Western worlds. His teachings still resonate in light of contemporary philosophical and scientific fields. Ibn Sina referred to medicine as a science, dividing it into theoretical and practical aspects. He focused on treating the human body and believed that most illnesses and ailments stemmed from psychological conditions, which could contribute to the manifestation of disease symptoms. Conversely, positive states such as joy and happiness help limit the spread of diseases and may be effective in treatment, serving as a key for medical studies that are still under exploration.

Keywords: Modern medicine, psych, theory of humors, theoretical, practical.

*المؤلف المرسل: سومية غربي

1. مقدمة

زخرت فلسفة العلوم وتاريخها ،بجملة من التصورات والمعارف والخبرات التي تناولها علماء وفلاسفة عبر العصور وعرفت ثراء علمي وجوانب متنوعة كمثل جانب الطب الفلسفي والسيكولوجي ،وقد اسهم هذا الميدان في العلوم إسهاما فعالة من ناحية الممارسة والتطبيق ، وقد يرجع الفضل إلى خبرات العديد من المفكرين والفلاسفة وممن إهتموا بفن التطبيب والمداواة ، وقد نجد في الفكر الغربي والعربي الإسلامي أطباء يونان مثل الطبيب اليوناني أبوقراط ،ولعل أهم الفلاسفة المسلمين نجد الطبيب والفيلسوف بن سينا (370هـ . 980م) الذي برع في فن الطب والعلاج السيكولوجي ، وسعة منافعه في علاج المرضى والمصابين بالأمراض الجسدية والنفسية ، وقد استبين ابن سينا في دراسته مدى العلاقة بين الجانب النظري الذي تمثله النفس وعلتها والجانب التطبيقي الذي يمثل علة الجسد ،وقد اعتمدنا في موضوعنا هذا على المنهج الذي يلائم النقاط الأساسية في تناولنا هذا المقال وهو المنهج التحليلي وتماشيا لهذه الدراسة الفلسفية التي تصبو لاستبيان ما قدمه ابن سينا في ميدان التطبيب ، وهذا ما جعلنا نطرح جملة من التساؤلات أبرزها ما هي الإسهامات الفكرية المتمثلة في العلاجات من الأمراض العضوية والنفسية التي قدمها ابن سينا ؟ وما المنظور الذي منحه ابن سينا للأمراض والأخلاق التي تحمل العلة العقلية والنفسية والعضوية ؟ وكيف ربط ابن سينا بين هذه الأمراض وجعل كل من العلاجات النفسية مكملة للعلاج الجسدي؟ إلى أي مدى يمكن اعتبار فن التطبيب لدى ابن سينا من فلسفات الطب ذات الفعالية البالغة وما الأثر الذي منحه للفكر ما بعد الحداثي ؟

وتهدف هذه الدراسة إلى استبيان مدى أهمية الإنتاج العلمي الذي تزخر به فلسفة ابن سينا ، ولاسيما ونحن نواكب التطورات التي يشهدها العصر في مجال الطب بصفة خاصة والعلوم بشتى أنواعها بصفة عامة ، ويعد هذا السبيل محور تجلي أثر الحكمة التي خلفها ابن سينا في العلاجات للأمراض المستعصية التي تواجهها الأمم والتي مازالت محور اهتمام بالدواء الكيماوي والطب البديل الذي يشمل الدراسة المتطورة للنباتات وأصناف الأعشاب وهذه ما جعلنا نستوقف جملة من التصورات التي قدمها الشيخ الرئيس ابن سينا لمجال الطب ومكانته الفلسفية والعلمية في أرقى العلوم،وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج التحليلي الذي يلائم نوع دراستنا الفلسفية ،والبحث عن الفقه والسبل التي تتماشى ومتطلبات العصر والتقدم الحضاري.

2. الربط بين المداواة النفسية والجسدية بوصفهما نهج لتطبيب الأدوية الصحية أثر التحسين النفسي والعقلي في علاج الأمراض العضوية:

منح الفيلسوف والحكيم الشيخ الرئيس كما أسماه العالم العربي قيمة مضافة لاهمية فن التطبيب وقد خصص إسهاما فعالا في هذا المجال العلمي ، وماله من عمق فكري دقيق وما يحمله من تميز إيجابي وقد أضفى عالم الأدوية روحا مثمرة لتعلم الصنائع التي تكتسي روحا علمية وفنية وخبرة في علاج الأسقام والعلل وعلى هذا السبيل نجد تقديم ابن سينا لطرح فلسفي في جمعه بين مختلف الجوانب كمثل الجانب العقلي والنفسي وصلته بالأمراض العضوية ومدى استجابة الأجساد العلية للشفاء والتحسين النفسي ومدى فعاليته في التخفيف من حدة الإصابات المزمنة (ابن منظور ، 1999، ص283).

2.2 فن التطبيب بين دراسة المصطلح والمنظور السينائي

إن ما قد يرمي إليه ابن سينا حول استهداف معنى للروح الإنسانية وإحراز تقدم في فن التطبيب وعلى الرغم من العلاجات التقليدية التي استعملها ابن سينا في عصره إلا أن طرائقه في العلاجات لا تكاد تخلو من الوسائل البسيطة التي مازالت أقوام ولاسيما في العالم العربي تستعملها بوصفها علاجات طبيعية ، وتماشيا للإسهام النوعي سواء في الطب التقليدي أو الحديث والمعاصر الذي يشمل في علاجاته الأدوية الكيميائية والطبيعية من الأعشاب وغيرها من الخبرات التي يتم التعرف عليها وإقامة الخبرات عليها في إطار التجارب وقد يندرج الطب سواء الطب البديل أو الطب العام بتخصصاته المتنوعة ثم إن هذا المصطلح " فن التطبيب " من الناحية اللغوية متخذا معنى موحد يشتمل في الأصل على : "المهارة والحدق ويحمل الطب نوعا من الرفق والفتنة التي يتحلى بها الحكيم لعلاج الأجسام والأنفس العلية " (ابن منظور، ص284) وأما الجانب الاصطلاحي فقد تخصص وتفردت التعريفات التي تخص معنى التطبيب ، إذ نجد ابن سينا يرمي في منحه تفسيرا للطب في كلامه قائلا : "إن الطب علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة والقائل أن يقول أن الطب ينقسم إلى نظروعمل ، وأنتم قد جعلتم كله نظرا إذ قلتم أنه علم وحينئذ نجيبه ونقول إن من الصناعات ما هو نظري وما هو عملي ، ويكون المراد في كل قسمة بلفظ النظري والعملي شيئا آخر. لا إذا قيل إن من الطب ما هو نظري فلا يجب أن يظن أن مرادهم فيه هو أن أحد قسسي الطب هو تعليم العلم والآخر هو العمل مباشرة كما يذهب إليه وهم كثير من الباحثين عن هذا الموضوع بل يحق عليك أن تعلم أن المراد من ذلك شيء آخر ، وهو أنه ليس واحد من قسسي الطب إلا علما لكن احدهما علم أصول الطب والآخر علم كيفية مباشرته ، " (ابن سينا ، 1971، ص71) ويستكشف ابن سينا تفسيره عن تعلم الطب مصرحا : "فنعي بالنظر من ما يكون التعليم فيه مقيد بالإعتقاد فقط من غير أن يتعرض لبيان كيفية عمل مثل ما يقال أصناف الحميات ثلاثة ، وإن الأمزجة تسعة ونعني بالعمل منه لا العمل بالفعل ولا مزاوله الحركات البدنية بل القسم من علم الطب الذي يفيد التعليم فيه رأيا ، ذلك الرأي متعلق ببيان كيفية عمل مثل ما يقال في الطب ، إن الأورام الحارة يجب أن يقرب إليها في الإبتداء ما يريح ويبرد ويكشف " (avicenna , 1973,p69)

يشير ابن سينا من خلال ما أدلاه في تصريحه أن ميدان التطبيب من العلوم التي ينبغي أن يركز عليها في الحياة العامة ويلزم الاهتمام بدراسة أحوال جسم الإنسان سواء كانت صحية أو غير صحية ، وبالتالي الهدف منه يكمن في الحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض وعلاجها ، والتعريف هنا يربط بين المحافظة على الصحة وبين فهم كل ما قد يؤثر على بدن الإنسان سواء كان ذلك بشكل نفعي أو ضار ، وبذلك ينتج عن كونه ليس فقط علاج للعلل والأسقام بل يعد علما شاملا يهتم بكل ما يحافظ على الإطار الصحي ويعزز قدرة المناعة في صراعها مع التعامل مع الحوادث الخارجية والباطنية التي تكتسبها الأجساد ، ولابد من جلب ما ينفع الأبدان من تغذية سليمة وحسن التكيف معها وتناولها ، وتعزيز الرياضة وتهذيب الأبدان وفي الوقت نفسه استبعاد النواحي السلبية التي تحمل معنى جملة الأمراض أو العوامل البيئية الضارة (محمد عاطف، 2003، ص64)

3. فن التطبيب بين النظرية والممارسة أو التطبيق

1.3 الأصول الكلية للطب بين بين الفهم والتفسير

يستهدف منظور ابن سينا للطب إلى تأصيل المعاني الحقيقية التي يتوجب على الطبيب أن يتحلى بها وذلك بالربط بين المعنى المزدوج من نظري وتطبيقي من خلال التعرف على أهم الأسباب المهيأة لنوع الأمراض وعلى هذا الأساس نجد ابن سينا في اتخاذه منهجا علميا دقيقا ،(مرحبا عبد الرحمن، 1988، ص83)

وقد يرى ابن سينا أن ممارسة التطبيب تقوم بعملية بناء وتشخيص للأجساد عن طريق الكشف والمعاينة وذلك من اجل البحث عن الحلول التي تحملها العضلات التي تتجلى في شكل أسقام يحملها المريض ، وعلى هذا الأساس يتوجب على دارس الطب أن يأخذ بكل الأسباب والعواقب لما تحمله من معنى يخص الأدوية والمداواة في الوقت نفسه ، وعلى الطالب في ميدان التطبيب أن يكون متضلعا في هذه المهنة وأن يكون عالما ومدركا بأصول الطب ، وفي هذا الصدد نجد أن ابن سينا قد وضع أصولا للطب والتي اشتملت جوانبها في مؤلفه "القانون في الطب " ووزعها إلى أربعة أصول وقد ذكرها في قوله : "الأمراض ، الأسباب ، الأعراض ، الدلائل" (عبد الرحمن حكمت نجيب، 1977، ص161).

وقد فصلها ابن سينا قائلا : " . الأمراض :المرض هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان بالذات آفة في الفعل وجوبا أوليا وذلك إما مزاج غير طبيعي ، وإما تركيب غير طبيعي سواء والعرض هو الشيء الذي يتبع الهيئة ، وهو غير طبيعي سواء كان مضادا للطبيعي مثل : الوجع ، العفونة ، الحصى والعرض يسمى عرضا باعتبار مطالعة الطبيب إياه وسلوكه ضمنه إلى معرفة ماهية هذا المرض .

وأنواع الأمراض: . أ. أمراض التركيب : وتنحصر في أربعة أجناس : أمراض الخلقة ، أمراض المقدار ، أمراض العدد ، أمراض الوضع

. ب. أمراض تفرق الإتصال تحدث في الجلد وتسمى خدشا ، وقد تقع في اللحم فإذا تنقيح تسمى جراحة ، وإذا تنقيحت تسمى قرحة ، وإذا وقع في الشرايين أو الأوردة سمي انفجارا ، وإن كان وقع في الأغشية والحجب سمي فتقا . ج. الأمراض المركبة :هي الأمراض التي إذا اجتمعت حدث من جملتها شيء هو مرض واحد مثال الأورام والبثور ، فالبثور من جنس الأورام ولكنها أورام صغيرة كما ان الأورام بثور ولكنها كبيرة والورم يوجد فيه أجناس الأمراض كلها ، ويوجد فيه أمراض الهيئة والتركيب ، فلا ورم إلا وهناك آفة .

الأمر الذي تعد من الأمراض : "هناك عدة أمور قد تحسب مع الأمراض نظرا لأنها قد تؤثر على جسم الإنسان أو أنها قد تدل على حالة نفسية أو جسدية يعاني منها وهي : تساقط الشعر ، الشقاق ، التجاعيد ، الروائح الكريهة من الفم أو الجسد ... إلخ (البابا محمد زهير، د(ت)، ص148)

وأوقات الأمراض :وضع ابن سينا وقت للمرض :

وقت الابتداء : يظهر فيه المرض

وقت التزايد: يشتد فيه المرض

وقت المنتهى : يقضي فيه المرض في جميع أجزائه على حالة واحدة

وقت الانحطاط: هو الوقت الذي يظهر فيه تراجع المرض

وأما عن الأسباب : إن أسباب أحوال البدن هي الصحة والمرض والحال المتوسطة بينهما حسبما يرى ابن سينا هي ثلاثة أسباب : الأسباب السابقة ، الأسباب البادية ، الأسباب الواصلية .

تشارك السابقة والواصلة في أنهما أمور بدنية أي مزاجية أو تركيبية ، والأسباب البادية هي من الأمور الخارجة عن جوهر البدن .

. الأسباب السابقة والبادية ، تشارك في أنه قد لا يكون بينهما وبين حالة المذكورة واسطة ، لكن الأسباب السابقة تنفصل عن الأسباب الواصل ، بأن الأسباب السابقة لا يلها الحالة أيضا أسباب أخرى أقرب إلى السابقة . الأسباب السابقة تنفصل عن البادية بأنها بدنية ، وأيضا فإن الأسباب السابقة يكون بينها وبين الحالة واسطة لا محالة ، والأسباب البادية لا يجب فيها ذلك .

مثال عن الأسباب السابقة :الاقتلاء للحى وإملاء أوعية العين ونزول الماء فيه

مثال عن الأسباب الواصل : العفونة ، الحى ، والرطوبة السائلة من النفط للسدة ، والسدة للحى .

مثال عن الأسباب البادية : حرارة الشمس وشدة الحرارة يسببان الغم أو السهر أو تناول شئ مسخن يسبب الحى (ابن سينا، 1971، ص121) وتتعدد الأسباب والعلل التي تشمل السبل التي تسهل عملية تفاعل الأمراض في أجساد البشر ومنها على حسب ابن سينا ترجع إلى عامل الهواء المحيط وتأثيره على الجسم . كذلك ترجع إلى سبب تأثير المناخ من حرارة وبرودة وإعتدال وجفاف (عدوان ماجد، 2001، ص91) كما أن للفصول تعابير تتوافق مع الأمزجة الإنسانية وتتناقض بتأثيراتها مع صحة الأمزجة من تعديل واختلال وتعكير للأنفس وتقلباتها مثل الأجواء ، إذ نرى مثلا الهواء الجيد الحار يحلل ويرضى ، وإن إعتدل يتغير لون البشرات إلى الإحمرار عن طريق انجذاب الأوعية الدموية نحو الخارج ، وإن أفرط في الاصفرار فقد يكثر العرق وينقص نسبة البول فينتج حينها أعراض العطش وغيرها من الأعراض ،(العقاد عباس محمود، 1978، ص119) وأما عن الجانب النفسي فما لا يمكن الإغفال عنه أن امثال النفس وتحركاتها تشمل تقلبات المشاعر من حزن وسرور وغيرها من الحالات النفسية والأحاسيس المعبرة في الواقع. كما تتأثر الأجساد لأجواء الرياح التي تعمل في مجملها على المسامات الجلدية فقد تفتحها أو تسدها، ثم إن ما يتناوله الإنسان من طعام ونوع الطعام قد يتجلى لدى الكثيرين مدى أهمية ذلك الأكل أو الشرب لسد منفعة إلا أنه يحمل مضرة تؤثر على الجسد والنفس بالسلب والضرر فيحدث إختلال وعلة وسقم ، إلا أنه توجد أطعمة نافعة لا ضرر فيها كمثمل التي ذرت في الكتاب العزيز الحكيم ومنها استخلصت الأدوية والعلاجات من الأسقام وهي تدخل ضمن الطب النبوي ومن الأطعمة ما صرح إجتناها وتحريمها لأن فيها ضررا وما تحمله من خبث كمثمل الميتة وأكل لحم الخنزير والدم والخمر.

وهناك نقطة أخرى قد تحدث عنها ابن سينا ترجع على مسألة الإستفراغ ومعضلة الإحتباس التي قد يتسبب فيها الإنسان لنفسه كمثمل إحتباس النجاسات مثل البول وما تسببه من مشاكل وأضرار صحية وقد ينجم ذلك الإحتباس إما يكون لضعف الدافعة أو الهضم أو لشدة قوة الماسكة وغيرها من المسببات (محمد نزار الدقر، 2010، ص51)

يصف ابن سينا في كتابه القانون في الطب نوع الأعراض وتحليله للدلائل قائلا : "منها ما هي مؤقتة تبتدى بشدة وتنتهي مع المرض كالحى الحادة والوجع وضيق التنفس ، ومنها ليس لها وقت معلوم فتارة يتبع المرض ، وتارة لا يتبعه مثل الصداع مع الحى ، ومنها أيضا ما يأتي آخر المرض مثل علامات النضج ، علامات العطش وهذه أكثرها في الأمراض الحادة .

. الدلائل (العلامات) : منها ما يعرف من الأعضاء الظاهرة وهي مأخوذة إما من المحسوسات الخاصة مثل أحوال البدن وأحوال اللمس والصلابة واللين والحر والبرد وغير ذلك ، إما عن المحسوسات المشتركة وهي مأخوذة من خلق الأعضاء وأوضاعها وحركتها وسكوناتها وربما دل منها على الأحوال الباطنة ، مثل إختلاج الشفة يدل على القيئ

ومقاديرها ، هل زادت أو نقصت أو ربما دل ذلك منها على أحوال أعضاء باطنة مثل قصر الأصابع يدل على صغر الكبد ، والاستدلال من الروائح ومن طعوم الفم وغير ذلك من تحذب الظهر فإنه يدل على السل ، وهناك أعراض مأخوذة من السكوت مثل السكنة والصرع والغشي (الإغماء) وهناك ما هي مأخوذة من الحركة مثل القشعريرة والعطاس والتثائب ... وهناك علامات نعرفها من خلال فعل العضو فإذا لم يقوم العضو بفعله الطبيعي دلنا ذلك على وجود آفة به ، وهناك علامات موجودة في أصل الإنسان وهو ما يسمى التشوه الخلقي (ابن سينا، ص 232) كانت هذه بعض آراء ابن سينا الطبية والتي إن دلت على شيء إنما تدل على أنه كان بالفعل لديه فكر موسوعي شامل لشتى فروع الطب ، فمن الطب الجسدي إنتقل ابن سينا إلى الطب النفسي وتمكن يتصوره أن يربط بين الحالة الجسدية والحالة النفسية لمرضاه (نصر سيد حسني، 1986، ص 153)

2.3 الأهمية التاريخية لنظرية الأخلاط بوصفها أساس للطب الحديث

قدم ابن سينا جملة من التصورات العلمية فيما يخص مجال الأمراض ورأى أن هنالك أجزاء متشكلة من الأسقام في جسم الإنسان المريض تسمى بالأخلاط ويشير هذا المصطلح نظرية ابن سينا في الأخلاط إلى أحد أصناف تتمحور في نظام الطب الكلاسيكي الذي يركز على كون الجسم ينقسم إلى مكونات أربعة تتجلى في أساس الدم والصفراء والسوداء والبلغم وقد ظهرت هذه الرؤية لدى حكماء اليونان أمثال الطبيب اليوناني أبوقراط الذي استلهم منه ابن سينا دراساته في علم التطبيب والمداواة ، ومالا يمكن الإغفال عنه هو ذلك التأثير اليوناني في مجال الطب في فلسفة ابن سينا وقد استمد بداية تصوراته من الإرث الفني والطبي الذي أثمر فيه حكماء اليونان كمثال الطبيب أبوقراط وتتجلى قراءات ابن سينا للتعاليم الإغريقية في تفسيره لنظرية الأخلاط أو في المرض كما أدلاه اليونانيون في كون وجود عناصر أربعة تتمثل في النار والماء والتراب والهواء ومرتبطة في ذلك بطبائع مستمدة منها ترجع إلى الحرارة والجفاف والبرودة والرطوبة وترجع هذه الصفات والطبائع إلى أمزجة البشرية وصفاته وتركيبته الفيزيولوجية والعضوية المتكونة من الدم والإفراز الصفراوي والبلغم وإفراز الطحال وتحمل هذه الأجسام صلات بالأمزجة الإنسانية عن طريق تأثيرها في الأنفس البشرية كما تساهم في تقلباتها وتغيراتها ، ثم إن العناصر الأربعة التي تشكل سيولة ولزوجة كمثل الدم والبلغم لا يمكن للغذاء أن يصل إليها مباشرة وإنما ينتج عن وظائف الجسم وقد يختص الدم في سيورورة الهواء وما هو حار قد يكون رطبا وأما الصفراء فقد تشكل احد صفاتها الجفاف والحرارة التي نجدها في خاصية النار ، وأما البلغم فيحمل نوع من الرطوبة والبرودة كمثل الماء ، وأما الجفاف والبرودة كذلك قد نجدها في الطحال على حد تعبير ابن سينا ، فإذا حدث تساوي وتوازن بين هذه العناصر الأربعة لم ينتج اختلال وسقم في الجسد والنفس وبذلك يتم اعتدال وتوازن صحي ونفسي ، ثم إن الاختلال والاضطراب الذي تسببه هذه العناصر الأربعة قد يشمل بعض أجزاء البدن ويعطل خصائصه الصحيحة. (أبادير فاهيم، د(ت)، ص 58) هنا محتوى العنوان الفرعي الأول،

والتشخيص الدقيق الذي منحه ابن سينا لعالم الطب أحد السبل الأساسية التي تطور على سبيلها الطب المعاصر والذي شهد تقدما على المستوى التقني والعلمي ، ويمكن أن نعترف بهذه المجهودات التي قدمها ابن سينا إذ

تمثل جملة من التراكمات التي تحمل نضجا فكريا ووعيا و حذاقة في فن التطبيب ، والعلاجات الدقيقة التي مهدت الطريق نحو التقدم في العلاج (عطية أحمد عبد الحليم، 1991، ص110) .

4. الربط بين النفس والجسد في تشكيل مذهب فلسفي سيناوي 4.1 الجسد بوصفه آلة للنفس:

سعى ابن سينا في دراساته حول الطب أن يتضاد مع مسألة الانفصال وقد نفى نفيا مطلقا عملية اللاتصال التي تتم على مستوى الجوهر والمبر الذي يمثله كله من الجسد وتتعرف حينها النفس على الجسد وتدركه إدراكا حسيا فتتشكل جملة من التصورات الفلسفية ، إلا أن النفس تحمل مقاما أسمى من الجسد وذلك نظرا لتحكمها في أفعالنا الصادرة وإدراكها للصواب والخطأ ، وتقوم العلاقة بين النفس والجسد لدى ابن سينا على نوع من الترابط الوثيق الذي يشتمل على وحدة الجوهر الذي تصنعه النفس والجسد حيث تشكلان وجهان لعملة واحدة ، وقد تخضع النفس بواسطة إدراكاتنا إلى الخبرات التي تكمن في فعل الحركة والوعي ، وفي الوقت نفسه يمكن أن تصدر النفس مواقف تتجاوز الأفعال الحركية الصادرة من الجسد وذلك عن طريق التحكم والقدرة والرغبة التي تفوق الحواس ، وقد تستقل النفس عن الجسد بقدرتها ودرجة الوعي والإدراك الذي تتمتع به ، وتستطيع الأنفس في نظر ابن سينا أن تفهم بعضها بعضا كما يمكن أن تفهم الأنفس المختلفة والمتشابهة عن طريق حضور الوعي وإدراك الذوات. وقد تصور ابن سينا في مسألة الربط بين النفس البشرية والجسد في العلوم الطبية ، موضحا فكرته التي تناشد الجانب السيكلولوجي ومدى تأثيراتها على مختلف الأعضاء الجسدية ووظائفها ، وهذا الجانب النفسي يعد الداعم لسلامة الأجساد أو اعتلالها لذلك يرى ابن سينا على أن هذا الأخير يشتمل على جملة من القوانين ، إذ يوضح قائلا: "القوة النفسانية تشتمل على قوتين ، إحداها قوة مدركة والأخرى قوة محركة ، والقوة مدركة لقوانين مدركة في الظاهر وقوة مدركة في الباطن والقوة المدركة وخمسة أبصار وقوة السمع وقوة الشم وقوة الذوق وقوة اللمس والقوة المدركة في الباطن التي إحداها تسمى الحس المشترك والخيال ، وهي عند الأطباء واحدة وعند المحصلين من الحكماء قوتان فالحس المشترك هو الذي تؤدي إليه المحسوسات كلها وينفعل عن صورها ويجتمع فيه والخيال هو الذي يحفظها بعد الاجتماع ويمسكها بعد الغيبوبة عن الحس والقوة القابلة منهما غير الحافظة والمذكورة" (ابن سينا ، 1971، ص343)

تماشيا لما أدلاه ابن سينا حول الربط بين النفس والجسد بصفة إدراكية نجده يفصل في هذه الإشكالية والثنائية بحيث منح صفة القوة لمعنى النفس ومدى تحكمها في وظائف الجسد وقد قسم هذه القوى إلى قسمين أو نوعين ومنها القوة المدركة مثل الحس ، العقل ، الخيال ، وقوة محركة أو تحركية وهي التي تحرك الجسد وتصدر الأفعال بتدخل الحواس والقوة المحركة بدورها تنقسم إلى قوة باعثة (مشتبهة) تحرك الجسد وما يشتهيها مثل الطعام عند الحاجة والافتقار إلى الأكل أي في حالة الشعور بالجوع وقوة فاعلة منفذة هي التي تحرك عضو من أعضاء الجسد بصفة فعلية كمثال القيام بتحريك اليد نحو الاغتسال أو القيام بالأكل أو تلبية حاجات أخرى كمثال الشعور بالرغبة في الشرب ، وهذه القوة التي تنبعث من النفس تدفعنا للقيام بتحريك الكوب لتلبية حاجة الشرب ، ويصدر هذا الفعل بوصفه قرار متخذ ومدرك من النفس بصفته قوة مشتبهة ، والقوة الفاعلة تحرك اليد لتأخذ

الكوب ، أما القوة المدركة أو الحسية هي التي تدرك العالم الخارجي وتشتمل على نوعين من الحواس منها الحواس الظاهرة : مثل النظر ، السمع ، الشم الذوق ، والحواس الباطنة مثل التخيل والتذكر .
من خلال هذا الربط الذي أقامه ابن سينا بين النفس والجسد فالنفس هي التي تفكر وتخطط وتشتهي لكنها لا تستطيع تنفيذ رغبتها إلا عبر الجسد والجسد يتحرك أو يشعر إلا بأمر من النفس وإصدارها للأفعال بصفة مدركة ، كذلك هنا دلالة على حضور الذات الفاعلة والوعي بوصفه مساهما في بناء القوة النفسية ومدى تأصيلاتها الإيجابية والسلبية على الجسد ، وبذلك فالعلاقة بين كل من النفس والجسد هي علاقة تكاملية تتمثل في القوى المشتركة أي قوى النفس تربط أفعالها ثم تنقلها والجسد ينفذها ،

4.2 تحسين الأمزجة الإنسانية من دواعي الشفاء إلى التكييف الفعال بين الذوات والعقول

ويعزز ابن سينا مصرحا عن الأمزجة الإنسانية: "ولأن المزاج واقع فيه بين أضداد متنازعة إلى الانفكاك ، إنما تجبرها على الالتئام والامتزاج قوة ، غير ما يتبع إلتئامها من المزاج ، وكيف وعلة الإلتئام وحافظه قبل الإلتئام ؟ فكيف لا يكون قبل ما بعده ، وهذا الإلتئام كلما يلحق الجامع الحافظ ، وهن أو عدم يتداعى إلى الانفكاك ؟ فأصل القوى المدركة والمحركة والحافظة للمزاج شيء آخر ، لك أن تسميه " النفس " ، وهذا هو الجوهر الذي يتصرف في أجزاء بدنك ثم في بدنك " (ابن سينا، د(ت)، ص236) ويشير قائلا: "وهذه الانفعالات والملكات قد تكون أقوى ، وقد تكون أضعف ، ولولا هذه الهيئات لما كان نفس بعض الناس بحسب العادة أسرع إلى التهتك أو إلى الاستشاطعة غضبا من نفس بعض " (ابن سينا، د(ت)، ص237)

وقد استبين ابن سينا في دراسته مدى العلاقة بين الجانب النظري الذي تمثله النفس وعلتها والجانب التطبيقي الذي يمثل علة الجسد ، وقد سعى ابن سينا إلى الجمع بين الطب العضوي والنفسي والعقلي ، وقد عرفت هذه الدراسة إهتماما بالغا في العالم السيكلوجي والطبي ، وقد مثلت هذا التصور الإنطلاقة التي تمحورت في هذا الموضوع الذي شمل بحثنا ، وقد ارتكزت فلسفت ابن سينا على مدى أهمية وفاعلية التحسن النفسي في شفاء الأجساد العلية التي تعاني من الأمراض العضوية واختلال وظائفها ، وبذلك طرح ابن سينا أدوات وأساليب من أجل التداوي ومنها التداوي بالعقاقير والأعشاب وغيرها من المسكنات والعلاجات المتنوعة التي برع في صناعتها ابن سينا في عالم الأدوية ، التي ساهمت في تطوير الإنسانية والتقدم الحضاري مع تغير الأزمنة الحديثة والمعاصرة سواء في العالم الإسلامي أو في العالم الغربي ، وما أنتجته هذه الفلسفات من ثورة علمية ونهضة ثقافية ، وبفضل العديد من الفلاسفة المسلمين برز علم الطب في العالم وشهد صيتا منح لمساته الخاصة وبصماته في الثقافة العربية الإسلامية ، إذ نجد الفيلسوف ابن سينا قد نبغ في موسوعة الطب حين ربطها بالإسهام النفسي والعقلي والديني وشكل حينها إعجازا علميا تبلور في الممارسات العلاجية بطريقة تحليلية ونهج نهجا دقيقا لا يكاد يخلو من التصورات العلمية الدقيقة. (sylvie ayari lassueur, 2012,p255)

ويخصص ابن سينا في حديثه عن صنف الحركات الفيزيولوجية في تصريحه: "أما حركات حفظ البدن وتوليده فهي تصرفات في مادة الغذاء لتحال إلى المشابهة سدا لبدل ما يتحلل أو لتكون مع ذلك زيادة في النشوء على تناسب مقصود محفوظ في أجزاء المغتذي في الأقطار يتم بها الخلق أو ليختزل من ذلك فضل يعد مادة ومبدأ لشخص آخر ، وهذه ثلاثة أفعال لثلاث قوى أولاها : الغذائية وتخدمها الجاذبة للغذاء ، والماسكة للمجذوب إلى أن تهضمه الهاضمة المهرية ، والدافعة للثقل ، والثانية "القوة المنمية" إلى كمال النشوء ، فإن الإنماء غير الاسمان ،

والثالثة " القوة المولدة للمثل " وتنبعث بعد فعل القوتين مستخدمة لهما ، لكن النامية تقف أولا ثم تقوى المولدة ملاوة ، فتقف أيضا وتبقى الغاذية عمالة إلى أن تعجز فيحل الأجل " (ابن سينا، د(ت)، ص266) ويتبين من خلال هذا التفسير الدقيق الذي منحه ابن سينا إلى مدى تأثره بفلاسفة وحكماء إغريق أمثال الحكيم اليوناني أبوقراط ، ويعد هذا السبيل أحد الأسباب التي كرسنا اهتمامنا في التعرف على الحقل الفلسفي والمعرفي الذي حملته ابن سينا وما غفل عنه العديد ممن كان لهم اهتماما بليغا بالطب وقد غابت في دراساته تلك الرابطة التي تجمع بين فاعلية العلاج النفسي (sylvie ayari lassueur, 2012,p255) في تحسين وظائف العقل والجسد

وقد نظر ابن سينا في دراسته لفلسفة التطبيق لجمله من التصورات التي تتمحور حول كيفية علاج الأبدان وكشف الأدوية الحديثة التي صنعها ابن سينا متمثلة في العقاقير وتجسيدها للعلاجات والأدوية الكيميائية التي مازالت موضوع الدراسات الطبية المعاصرة والتي مازالت قيد الاستعمال والتطوير في المخابر الطبية . نجد ابن سينا يعزز فكرته في نظرية الأخلاط وما يتركب منه جسم الإنسان من عناصر أربعة من دم وبلغم وصفراوية وطحال وقد رأى أن هذه المراكز في توازنها تمثل سلامة الصحة البدنية وأن اختلال توازن أحدهم يشكل ضررا على صحة الأجساد ويتسبب في تجلي الأمراض ولا سيما المناعية منها (غرابة حمودة، د(ت)، ص249)

ويستبين ابن سينا قائلا: "والقول لا يخل المحسوس فضلا من غير المحسوس وليس جميع القوى والعوارض التي في الجسام التي بدخلة في الحس فإن المراضية والمصحاحية والأخلاق والانفعالات النفسانية كلها مثل الغضب والخوف وغير ذلك مما لا يتخيل ولا يخل أيضا فإن القاصرين من الطبيعيين يظنون أن طبيعة الماء الباردة وطبيعة النار الحارة يحس كلا فإن الماء فيه معنيان يسميان كلاهما بالحر وهما مفترقان واحدهما صورة داخلية في الحد والآخر عرض وخارج عن الحد وليس البرد الذي يحدثه الماء كما أنه ليس النطق الذي يحدثه الإنسان هو هذا النطق المحسوس الذي ينقطع ولا يعدم الإنسان كما أن النطق الداخل في حد الإنسان هو القوة الأولية التي إذا حصلت للإنسان كان إنسانا وأعرض بها لأمر أظهرها النطق وأفضلها النطق إذا صحت البنية وليس لتلك القوة في اصطلاح الجمهور تسمية واختراع أهل الصناعة لها اسما من هذا الفعل الصادر عنها فكذلك البرد الذي يدخل في حد الماء وهو القوة والطبيعة التي يقوم بها الماء " (ابن سينا ، 1989، ص55)

وبذلك يتضح أن العقل يتخذ مكانة في مجرى النفس ويعد أعلى قوة وإحكاما وذلك باعتباره مساعد أكبر وموجه للإدراكات والتصرفات الإنسانية ومختلف قيمها ، والعقل كونه يمر كذلك بمراحل ولعل أهمها العقل الهولاني ومن ثمة العقل بالملكة الذي يعتمد على الملكة العقلية وما تصدره الأفكار الداعمة والتي تحفز النفس على التصرفات الإنسانية الصحيحة فتثبت حينها صوابها وجدارتها ، ثم العقل بالفعل الذي يعتمد على الأفعال الصادرة وعلى المواقف العملية أو التطبيقية وليس النظرية ، ثم يأتي في مرحلة ما يسمى بالعقل المستفاد ، ويحدث حينها تكامل حين تتصل بصورة إدراكية جملة من الإصدارات العقلية وعلى نحو إتصالي من أجل بعث جملة من المعقولات والتصورات النافعة حيث تكتمل صورة الإدراكات وتتضح على نحو تام (غرابة حمودة ، د(ت)، ص250) .

ويقسم ابن سينا تفسيره لنوع النفس مشيرا في قوله: "وأما في الأنفس فالتهيء لقبول العقل بالفعل الذي هو العلم اليقين . والذي يشبه أن يفيض من الجرم الذي يتلوه وهو فلك الكواكب الثابتة فتتميمه ما ينبعث عن الجرم الأول الأقصى بان يأتيه شكلا وترتوبا ووضعها طبيعيا وأما في الأنفس فالاستعداد لقبول الرأي المحمود الذي هو الظن الراسخ المتعارف وبه تتم معايشة أشخاص الناس بعضهم مع بعض وكوكب زحل يفيض منه قوة تفعل في الأجسام بردا وجمودا ويبسا وإذعانات للتغير وإستحالة في الأنفس إستعدادا لقبول التخيل والذكر والتفكر والتوهم وله في صنف صنف فعل وكوكب المشتري يفيض منه في الأجسام قوة تحفظ كمال كل جشم وتبيئ كل مركب للثبات على

إعتداله الذي يخصه وفي النفس تهيؤ لقبول قوة الحس واما المريخ فإنه يفيض منه في الأجسام قوة تفعل فيها حرارة غريزية وإذعاناً للتغير والإستحالة وهذا الثاني يشارك زحل وأما في الأنفس فتتربى النفس الغضبية للحركات الزائدة واما الشمس فيفيض منها في الأجسام قوة تربى المركبات لقبول كمالاتها المزاجية وتعطيها الحرارة الغريزية وفي الأنفس قبول تربى الأنفس الطبيعية إلى الحركات الزائدة وربما اثرت في الأنفس الإنسانية فضل حركته على التسلط "(ابن سينا ، 1989، ص59.58) .

يمنح ابن سينا صورة لمسألة النفس بوصفها جوهر روحاني يملك استقلالية في كونه ذا قوة لها خاصية مميزة ورابطة بمستويات العقل فقد تنفصل الأرواح عن الأجساد وفي الوقت نفس تتعايش ممثلة في الطبيعة كممثل تعلق النفس التي يمثلها الإنسان في الهواء ، وتتعدد الأنفس على حسب تعبير ابن سينا في اتصالها بالعقول وقد قسمها إلى ثلاثة مراتب متفاوتة ومختلفة فيما بينها ولعل أهمها : الأنفس التي تعتمد على التغذية التي تحتوي على النباتات فتسمى نباتية ، ونفس حيوانية وتشمل ما يختص بحركة البشر والتركيز على الجانب الشعوري ، وأما النفس الإنسانية فيشير ابن سينا هنا إلى دور التصور الفكري وما ينجم من أفكار على مستوى العقل (مرحبا عبد الرحمن، 1988، ص195) .

5. خاتمة

قدم الفيلسوف العربي الإسلامي ابن سينا والشيخ الرئيس كما أسماه العرب المسلمين جملة من التصورات الفكرية في الحقل الفلسفي والعلمي ، ومنح منظورا متميزا له صدق وأثر فعال في عالم العلم والمعرفة ، كما طرح مسألة الأخلاط في نظريته الطبية وجعل من فضيلة المداواة علما يجمع بين الجانبي النظري والتطبيقي أو الممارسة وذلك حين جمع بين النفس والجسد موضحا المهام والقوة التي تتمتع بها الأنفس في التأثير والتحكم في وظائف البدن ، فسلامة النفس وصفاءها يساهم في العلاج بشكل فعال في الأجساد ويحسن من وظائف البدن والعقل ، أما الأمزجة السيئة والأنفس الحزينة والغاضبة تعمل على جلب الأمراض والأسقام للأجساد ، وهذه الإلتفاتة التي منحها ابن سينا للجانب السيكولوجي أخذت صداها بشكل فعال في عالم الطب الحديث والمعاصر ، ويعد هذا المنظور في فلسفتي النفس والتطبيب لدى ابن سينا احد المقومات الأساسية في عالم الطب والمعرفة وهي من البصمات التي لا يمكن الإغفال عنها وفي تاريخ الطب ، فقد جمع بين المعارف الطبية في موسوعة " القانون في الطب " التي مازالت من المرجعيات التي يعتمد عليها في الدراسات الأمريكية السيكولوجية الأخيرة فضلا عن كونها أخذت قسطا من الدراسة والإهتمام في بلدان المشرق وآسيا والبلدان الغربية ولا سيما في وصفه لعدد من الأمراض كممثل مرض الأخلاط ومرض الصفراوية والتهاب السحايا والسكتة الدماغية ، كما قدم إسهامات فعالة في تفصيله لمسألة العدوى وانتقال الأمراض وسبل الوقاية منها بالعقاقير والأدوية الحديثة في زمانه والتي مازالت محور إهتمام من ناحية الإستخدام في عصرنا كممثل الأعشاب وأخذها بجرعات متفاوتة ونسبية نظرا لنفعها وضررها ، ومنح مقادير مع نوع الأمراض وحدتها ، والتي تدخل ضمن أسس علم الأدوية الحديثة ، بفضل جهوده العلمية التجريبية ، أسموه بأمر الأطباء " و " أبو الطب الحديث " ، في علاجه للداء بالأدواء ومنها ما ينفع ومنها حتى السام الذي يعالج الداء بالداء أو السم بالسم ، ولا يزال إرثه العلمي مصدر إهتمام ودراية علمية واسعة لها حضي بمكانة لا يمكن تجاوزها أو التخلي عنها إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

6. قائمة المراجع:

- ابن سينا، (1971)، *القانون في الطب*، د(ط)، ج 1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية للنشر.
- ابن سينا، د(ت)، *الإشارات والتنبيهات* (ط3)، التحقيق: مجتبى الزارعي، العراق، مؤسسة بوستان للطباعة والنشر.
- الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله، ابن سينا، (1989)، *رسائل في الحكمة والطبيعيات*، د(ط2)، القاهرة، دار العرب للبشتاني.
- المصادر بالأجنبية :
- Avicenna, (1973), *The canon of medicine*, ams press, new York, London, manufactured in the united states of America
- أبادير فهميم، د(ت)، *من تاريخ الطب عند العرب*، المؤسسة المصرية العامة للأدوية، د(ط).
- البابا محمد زهير، د(ت)، *من مؤلفات ابن سينا الطبيعية*، د(ط)، دمشق، سورية، معهد التراث العلمي العربي للنشر.
- العقاد عباس محمود، (1978)، *الفلسفة الإسلامية*، (ط1)، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني للنشر.
- عطية أحمد عبد الحليم، (1991)، *دراسات في تاريخ العلوم عند العرب*، د(ط)، القاهرة، مصر، دار الثقافة للنشر.
- عبد الرحمن حكمت نجيب، (1977)، *دراسات في تاريخ العلوم عند العرب*، (ط4)، العراق، جامعة الموصل.
- غرابية حمودة، د(ت)، *ابن سينا بين الدين والفلسفة*، د(ط)، القاهرة، مصر، دار الطباعة والنشر الإسلامية.
- محمد عاطف، 2003، *علم أعلام الطب، ابن سينا*، (ط1)، القاهرة، مصر، دار اللطائف للنشر.
- محمد نزار الدقر، (2010)، *روائع الطب الإسلامي*، د(ط)، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.
- مرحبا عبد الرحمن، (1988)، *الجامع في تاريخ العلوم عند العرب*، (ط2)، بيروت، لبنان، منشورات عويدات للنشر.
- نصر سيد حسني، (1986)، *ثلاثة حكماء مسلمين*، (ط2)، بيروت، لبنان، دار النهار للنشر.
- نعيمون أبي أصيبعة، (1965)، *الأنباء في طبقات الأطباء*، تر: نزار رضا، د(ط)، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحيان للنشر.
- ابن منظور، (1999)، *معجم لسان العرب*، (ط3، ج8)، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي.
- عدوان ماجد، (2001)، *موسوعة علماء الكيمياء*، (ط1)، عمان، الأردن، دار عالم الثقافة للنشر.
- sylvie ayari lassueur, (2012), *Les propriétés des remèdes simples selon avicenne analyse de quelques passage du canon*, (volume 3), paris, genres 69.